الاحسان في موضعه

قصة انا تول فرانس

ترجمة : أحمد شكري طوب صقال

استقبلني في حجرته هورتور مؤسس جريدة النجمة ومدير قسم السياسة والادب بالمجلة القومية ومجلة العصر الجديد المصورة ، ثم خاطبني من اعماق كرسي ادارة التحرير ، قال :

« اريد ان تكتب لي ، يا صديقي مارتو ، حكاية من ثلثمائة سطر ، انشرها في العدد الخاص من العصر الجديد ، عدد رأس السنة ، تكون ممتعة يشيع فيها عبير الطبقة الراقية . »

فاجبته انني لا اجيد ذلك ، لا اجيده على الاقل ، بالمعنى الذي يرمي اليه ، ولكني مستعد ان اكتب له قصة ، فقال :

— واحب ان تسمي حكايه للاغنياء .

— احب الى ان تسمي حكاية للفقراء .

— هذا ما قصدت اليه . اريدها قصة توحي الى الاغنياء ان يعطفوا على الفقراء .

— وهذا هو مالا احبه ، قطعا : ان يشفق الاغنياء على الفقراء .

— عجيب !

— ليس عجيبا ، ولكنه مسألة علمية . اني اعتقد ان في اشفاق الاغنياء على الفقراء اهانة ، وانه مخالف لطبيعة الاشياء بين الناس . اذا اردتني ان اخاطب الاغنياء فساقول لهم :

اعطوا الفقراء من شفقتكم ، فانهم في غير حاجة اليها . لماذا يكون منكم العطف ولا يكون منكم العدل ؟ ان لكم معهم حسابا ، فسووا ذلك الحساب . ليست المسألة مسألة عاطفة ، انها مسألة اقتصادية . اذا كنتم مما تموتون تريدون ان تطفوا من ايام فقرهم وايام ثرائكم ، مهينكم بالعة الظلم ، ودموعكم التي تذرفونها هما لن تحملها عاطفة . اقول لكم ردوا الاشياء الى اصحابها ، كما قال النائب العام للقاضي بعد ان سمع خطبة الاخ ميار الطيب . انتم متصدقون لئلا تردوا الاشياء الى اصحابها ، تعطون قليلا لتحتفظوا بالكثير ثم تهنئون انفسكم على ذلك . لمثل هذا القى طاغية سلموس بخاتمه في اليم ، ولكن ربة التقمة ابت قبول ذلك القربان ، واعاده صيادا الى الطاغية في جوف سمكة . ثم سلمت ، بعد ذلك ، ثروة بولكرات عن آخرها .

— انت تمزح .

لست امزح . اريد ان يفهم الاثرياء انهم محسنون ، ولكن احسانهم ثمنه

نحس ، وانهم كرماء ولكن كرمهم لا يكلفهم الا قليلا ، وانهم يلاهون دائبهم وليس بمثل هذا تصالح الاعمال . هذا راى ربما اقتنعوا به .

— وتريد ان انشر بمثل هذه الآراء في العصر الحديد كي اروجها ! كلا ، يا صديقي ، كلا !

— لماذا تريد ان يتحد الغني في معاملته للفقير مسلكا غير مسلكه مع الاغنياء واصحاب النقود ؟ انه يؤدي للاغنياء ما هو مدين لهم به حينما يكون مدينا فاذا كان غير مدين لم يعطهم شيئا ، وهذه تراهة لاشوبها شائبة . فلن يكن تربها حقا ، فليكن هذا شائبه مع الفقراء ايضا . ثم لا تنس ان الاغنياء ليسوا مدينين بشيء للفقراء ، فلست اعتقد ان غنيا واحدا يرى ذلك الراى . ان الآراء تبدا تتغلغل فقط حينما تتناول تقدير الدين . وليس هناك من بينهم الاسراع في الوصول الى حل ، لانهم يعملون ان يبقى الامر بينهما يعرف كل منهم انه مدين ، ولكنه لايعرف قدر ماهو مدين به، فتتقدم بين الحين والحين بقليل على الحساب . هذا ما يسمونه الاحسان، وانه لذو نفع كبير .

— ولكن الذي تقوله ، يازميلي العزيز ، خال من العقل . انا قد اكون اشتراكيا اكثر منك ، ولكني عملي . ان الذي يمنع الما او يطيل حياة او يرد طلما اجتماعيا ، قد وصل الى غاية ما — وما يعمله الانسان من خير ، وان يكن ضئيلا، هو خير على كل حال . ان لم يكن كل المطلوب ، فبعض المطلوب . ولئن وصلت القصة التي اطلعها بنك الى قلوب مائة من المشتركين الاغنياء ، فحست اليهم العطاء ، لقد كان ذلك نصرا احرزناه من قوى الشر والالم — ورويدا رويدا ، على هذا النحو ، نحمل حياة الفقير محتملة .

— اين سالغ الفقراء ان تصبح حياتهم محتملة ؟ لولا الفقر ما كان الثراء ، ولولا الثراء ما كان الفقر . هما ثمران يحلق احدهما الآخر ويرعاه . والفقر ليس في حاجه الى اصلاح ، ولكنه حال يجب ان تزول . انا لا اعبأ بالاحسان غنيا ، لان اعطيه الاغنياء مسمومة ، ولان صدقاتهم سلام على من يعطيها ، وشر يحيق بمن يعطاها . واخيرا لان الثراء ، في ذاته ، جانب شديد القسوة ، فيجب ان لا يظهر في مظهر خادع من الاريحية . وحيث انك تريدني ان اكتب حكاية يقرؤها الاغنياء فسأقول لهم : «فقراؤكم ككلابكم تطعموهما لكي تتهيأ للعض . وأحنوا الصدقات متحولون كلابا للطبقة المالكة تصيح في وجوه المعدمين ان الاثرياء لايعطون الا مرتبالهم العطاء ، والعمال لايطلبون شيئا ، انهم لايبالون شيئا ،

— ولكن ما رايك في الايتام والعاجزين والمسنين ؟ . . .

— من حقهم ان يعيشوا . ولكني لن استدر العطف عليهم ، بل استصرح من اجلهم القانون .

— هذا كلام مطري ! فلنرجع الى الحقائق . اكتب لي قصة قصيرة في عدد راس السنة ، وبك ان تدخل فيها مسحة من الاشتراكية ، فالاشتراكية بدعة اليوم ، واحد شواهد الامتياز والاناقة . فانا لا اعني اشتراكية جورج او اشتراكية جورس ، ولكني اقصد اشتراكية معتدلة تراها الصاهون للحياة ، بحق وتبصر ، مخالفة الشيوعية

الجامعة . ثم ادخل في حكايتك عنصر الشباب ، وسأجعل لها سورا جميلة ، بالقراء يحسون ان يكون موضوع الصورة بهيجا . وامكن من احد المواقف لفتاة رشيقة . ليس ذلك صعبا ؟

— ليس ذلك صعبا .

— الا يمكنك ان تدخل فيها ايضا علانا من يتطعون مذاخن المدامىء ؟ ان عندي لذلك صورة مهيأة . صورة ملونة لفتاة تتعطى احد هؤلاء جرعة فوق درج كنيسة الدس . هذه فرصة سانحة للاستفادة بالصورة ... الثلج يتساقط في يوم بارد والآنسة الحسناء تتصدق على متطف المذاخن ... هل تحيلتها ؟

— تحيلتها .

— اذن اسمح على منوال هذه الفكرة .

— سانسج على منوالها . يتملك عرفاني الجميل شعور متطف المذاخن فيطوق بذراعيه عنق الآنسة الحسناء ، ابنة الكنت دليموت ، ويقبل خدها متطبع عليه دائرة صغيرة من السواد ، دائرة صغيرة جميلة تلبة الاستدارة حالكة السواد . ويعترم الفتى بحبها ، ولا تتذكر ادمي (وادمي هو اسمها) مثل تلك المائلة الحقيقية الحالمة .... أحسب ان في هذه الفكرة ما يكفي ليستدر العطف .

— نعم ، وسوف تستطيع ان تخرج منها شيئا .

— انك تشجعني على الاستمرار... وحينما تعود ادمي الى بيتها الفخم في شارع مارزب تجد انها نكره . أول مرة، ان تتمثل وجهها ، فهي تريد ان تحتفظ بأثر الشمعتين المثل على خدها . يسمعها متطف المذاخن حتى باب منزلها ويقف في حالة وجد تحت منقد منزل تلك الفتاة المعبودة .. اتحبك هذا؟

— نعم ..

— سأستمر . وفي اليوم التالي ،على حين كانت ادمي راقدة في سريرها الابيض الصغير ، اذ بمتطف المذاخن يخرج من منفاة حجرتها ثم يلقي بنفسه دون اكتراث ، على الكنبة الجميلة فيكسوها بتلك الدوائر الصغيرة السوداء . لقد ماتني ان اقول لك انه كان آية من آيات الجمال . وبينما هو مستغرق في عمله الحلو ، تفاجئه الكنتس دليموت ، فتصيح وتستنجد ، وهو مستغرق لا يرى ولا يسمع . »

« يا عزيزي مارتو ... »

«هو مستغرق حتى لا يرى ولا يسمع ويسرع الكنت الى الغرفة . وهو رجل ذو نفس ارستقراطية . فيمسك بمتطف المذاخن من سراويله التي تكون اول ما تقع عليه عيونه ، ثم يقذف به من النافذة . »

« يا عزيزي مارتو ... »

« سأوجز ... وبعد تسعة اشهر يتزوج متطف المذاخن الآنسة النبيلة . فقد مهيأت اسباب ذلك . هذه هي عاقبة وضع الاحمال في موضعه .

— يا عزيزي مارتو ، كنت سحرية مني .

— لا تظن شيئا من ذلك . سأتمها . لما تزوج متطف المذاخن الآنسة ليموت، اصبح دوكنا بلويباه ثم اطلس من سباق الخيول . وهو اليوم يبيع المواقد في شارع الجبني في حي سيرياس . اما زوجته فهي تتولى شئون الدكان وسع

الموقد سيمين مريكا تدفع مجمة على ثمانية أشهر .

ـ ما عزيزى مارتو ، لسما فى محل مجون .

ـ تبه ، ياعزيزى هوربور ، مليس ما تصنعه عليك سوى أساس قصة لابرتين المسماة « سقوط ملاك » وقصة الفرد دمى المسماه « الوا » . انها على كل حال ، خير من قصصك التى تملؤها العبرات ، والتى تجعل الناس يحسبون انهم أخيار ، وما هم باخيار على الاطلاق ، وانهم يعملون عملا صالحا ، وهم أبعد ما يكون عن العمل الصالح ، وانه من السهل ان يكونوا محسنين ، على حين ان الاحسان أصعب الاشياء عليهم طرا ، ان تصنع أخلاقية ، وهى فوق ذلك تدعو الى التفاؤل وتنتهى نهاية طيبة ، لان ادمى وجدت فى دكانها بشارع الحيتى ، تلك السعادة التى كانت تستطلبها عبثا فى الملاهى والمادب ، لو هى تزوجت احد رجال السلك السياسى او احد الضباط ... انحن متفقون ، ياحضرة المدير ؟ هل تنشر « ادمى » او الاحسان فى موضعه ، فى مجلة العصر الجديد المصورة ؟

ـ انت جاد فيما تطلب ؟

ـ جاد كل الجد . وان رغبت حكايتى هذه نشرتها فى مكان آخر .

ـ اين ؟

ـ فى احدى صحف الطبقة المتوسطة .

ـ انى اتحداك ان تعمل .

ـ سوف ترى .

ونشرت صحيفة المحارو التى يديرها السيد روبسى قصة **ادمى او الاحسان فى موضعه ، بقدما اياها للقراء ، على حد تعبيرهم ، هدية فى راس السنة .**